

التفكك الأسري: عناصر للنقاش مع اقتراح مقارنة وشبكة قراءة جديدة للموضوع

د. رشيد حمادوش

أ. محاضر بقسم علم الاجتماع

جامعة الجزائر

الملخص:

من خلال هذا العمل المتواضع نسعى إلى تناول بالدراسة والتحليل أحد أهم المواضيع السوسيولوجية الحديثة والمتمثل في مسألة الروابط الاجتماعية. حيث تعد الروابط الاجتماعية من القضايا التي نالت أهمية قصوى في الدراسات السوسيولوجية وبالأخص عند أصحاب النزعة الظاهرية وعلم الاجتماع الحياة اليومية.

Résumé :

A travers cet article on essaie d'approcher sociologiquement un des des thème les plus chers à la sociologie contemporaine et qui est : « les thème sociaux » thème d'actualité et surtout le fruit de plusieurs approches théoriques, telle que la phénoménologie et la sociologie de la quotidienneté



wondershare™

PDF Editor

مقدمة:

مع بداية الألفية الثالثة، تدخل البشرية أمام تحديات عديدة، وعلى جميع المستويات. إنه قرن التحديات، الدليل على هذا عدد الكتب التي صدرت في أوروبا وأمريكا عن تحديات الألفية الثالثة والتي بلغت وتجاوزت الألف كتاب حتى الآن وهذا حسب مكتبة باريس ونونبل BARNES NONBLE الأمريكية العالمية.

ولأن الأسرة هي عماد المجتمع، ولأن العلاقات الأسرية أساسها سكون وتوافق وتناغم، فهل هي حقيقة تواجه تحديات على غرار المؤسسات الأخرى مع دخول الألفية الثالثة؟ أم هي بصدد تغير وتحول؟ هل حقيقة الأسرة بين خطر الإندثار وخطر التفكك؟ وهل يمكن الحديث عن موت الأسرة كما ذهب إلى ذلك الدكتور كوبر في مؤلفه MORT DE LA FAMILLE سنة 1971؟

إن من بين ما يعلمنا التاريخ إياه هو أن الأسرة مؤسسة تمتاز بالتغير والديناميكية. فكل حقبة تاريخية وكل مجتمع يعرف بالأشكال التي تميز تجمعاته الأسرية. فالأسرة استطاعت أن تتجاوز كل مرة التغيرات الإقتصادية والإجتماعية المختلفة والمتعددة، وذلك بفضل ما تتمتع به من قوة تحمل ومقاومة وتكيف.

ولعل ما يميز عصرنا ما يلي:

أ - العولمة،

ب - التطور التكنولوجي،

ج - تغير القيم الإجتماعية وعجز المفاهيم الحالية على احتواء الجديد،
ونشير هنا إلى أزمة المقولات الكبرى التي يعرفها علم الاجتماع على غرار الأزمات التي تمر بها المجتمعات الحديثة،

د - تعدد المرجعيات.

- موضوع التفكك الأسري وإشكالية الروابط الإجتماعية:

تشكل العلاقات الأسرية أساس العلاقات الإجتماعية، وركيزة أساسية في العلاقات الإنسانية بصفة عامة، وهي المركز الذي ينسج فيه أساس شبكة

العلاقات الاجتماعية وذلك بحكم ما توكل إليها من وظائف وأدوار، خاصة عملية التنشئة الاجتماعية التي تعمل على نقل الموروث الثقافي بين الأجيال وتوريثه.

إن ما نريد تقديمه من خلال هذه المداخلة، هو التفكير في مقاربات أخرى مغايرة لموضوع التفكك الأسري الذي يحتاج حسب رأينا إلى بناء ومنه البحث على إشكالية جديدة يطرح فيها هذا الموضوع، لأننا أحوج ما نحن إليه هو إقامة وبناء إشكاليات وفق اقتراحات منهجية مغايرة لتلك التي عهدناها إلى حد الآن أين يكون للتجارب الذاتية للفاعلين الاجتماعيين دورهم فيها.

ولا يمكن لنا طرح موضوع التفكك الأسري إلا في إطار إشكالية أكبر وأوسع ألا وهي إشكالية الروابط الاجتماعية LIEN SOCIAL/SOCIAL BONDS، هذا إذا ما أردنا أن يكون للدراسة معنى، بحيث نرى أن تناول موضوع الأسرة بصفة عامة يجب أن يتم في إطار البنى والهيكل الاجتماعية بصفة شاملة، باعتبار الظواهر الاجتماعية، ظواهر اجتماعية كلية و شاملة، كما يشير إلى ذلك م. موس. إلا أن ما يمكن الإشارة إليه في هذا المستوى هو أن معظم البحوث التي عينت بدراسة الأسرة في الجزائر و في المغرب العربي ككل، هي بحوث ذات طابع ماكرو سوسيولوجي، وقليلة هي تلك البحوث الميكرو سوسيولوجية الخاصة بالأسرة فماذا نقصد بميكرو سوسيولوجي للأسرة؟ المقصود هو اعتماد لإشكالية ذات تصور تفاعلي ومنه اعتماد تحليل ميكرو سوسيولوجي للأسرة فمقترحنا هنا يتمثل في محاولة توفيقية بين المعالجة الكلية والمعالجة الجزئية للظواهر الأسرية بصفة عامة وظاهرة التفكك الأسري التي تعنينا بالخصوص.

وقبل مواصلة الشرح مسعانا، نريد فقط أن نطرح بعض التساؤلات عن مسألة التفكك الأسري: هل حقيقة وصلت الأسرة سواء في الجزائر أو في العالم العربي ككل إلى مستوى تفكك ومنه إلى التصدع الذي ينذر بسوء العاقبة؟ أم أن الأسرة وبالنظر إلى التحولات والتغيرات التي يعرفها العالم بصفة عامة والعالم

العربي بصفة خاصة، تعرف إعادة تركيب وإعادة تنشيط لا أكثر ولا أقل خاصة إذا علمنا أن أكثر من 50% من التركيبة الاجتماعية العربية، هي تركيبة شابة، أي غالبية السكان تتمثل في فئات الشباب !؟ فالحديث عن "أزمة الأسرة أو ضعفها وتراجعها" أمر غير صحيح بالنسبة للكثير من الباحثين أمثال دوسنجلي الذي يرى بأنه لا يمكن تلخيص كل التحولات والتغيرات التي تصبغ المجتمع و التي تؤثر بالطبع على مؤسسة الأسرة، لا يمكن تلخيصها في عبارة "أزمة" أو شرح، تفكك أو انكسار⁽¹⁾، لأن النظرة سوف تكون نظرة ضيقة للأمور. وبما أن الأسرة مؤسسة تنشئية بالدرجة الأولى كما سبق وأن أشرنا فإنها تعمل عبر هذه العملية على نقل قيم جديدة ومنه خلق نظام تصور جديد لجيل الشباب، هذا الاستكخال والاستبطان للقيم الجديدة، قد يحدث لدى فئات الشباب نوع من المقاومة تجاه كل ما هو " قديم أو تقليدي" مما قد يؤدي إلى خلق نوع من الفجوى بين الجيلين -جيل الآباء وجيل الشباب- يترجم على أنه أزمة وتذمر.

وما كان ليحدث هذا لو أخذت بعين الاعتبار للتجارب الذاتية للخصوصية والتميز الذي قد يفرد به شباب اليوم.

وتستوقفنا هنا ملاحظة هامة نريد الإشارة إليها هو أن عملية التنشئة الاجتماعية لم تعد تأخذ مساراً واحداً فقط أي الاتجاه أو المسار العمودي (من الأولياء إلى الأبناء) لكن أصبح الاتجاه أفقياً أكثر منه عمودياً، وذلك مع تطور وسائل الاتصال والتكنولوجيات الحديثة، مما يؤدي بنا إلى القول بأن الشباب أصبح يشرف على نفسه بنفسه فيما يخص عملية التنشئة الاجتماعية و منه فإن المرجعيات تعددت لديه AUTO SOCIALISATION، ما نريد توصيله كذلك من خلال هذه الورقة هو الابتعاد عن التناول التقليدي الذي عهدناه عندما يكون الحديث عن الأسرة: أي البحث عن وظائفها، أشكالها، أهميتها وطرق حمايتها، حتى الوصول إلى تفككها مرة أخرى ! هل يمكن لنا الحديث عن تفكك الأسرة في

ظل كل التغيرات والمستجدات التي يعرفها العالم؟ إذا مسيرة ومواكبة المتغيرات والتعرف على المشكلات المعاصرة: أسبابها وأثارها وكيفية تناولها والتعامل معها، هي من الضروريات الواجب ملاحظتها وتتبعها.

لا ينكر أحدا منا بأن الحياة الأسرية لا تخلو من بعض المشكلات التي يتمكن أفراد الأسرة من حلها، وقد يسود الصراع والشقاق في الحياة الأسرية، الشيء الذي يعكر صفوها ويعرضها الى التصدع والإنهيار. وقبل التطرق وطرح الإشكالية التي نريد مناقشتها هنا، سوف نتطرق ولو بسرعة إلى مفهوم التفكك الأسري ومحاولة مناقشته.

لكن قبل هذا نريد أن نشرح باختصار ما نقصده بمفهوم الروابط الاجتماعية الذي قد يبدو غامضا على غرار الكثير من المفاهيم اسوسيولوجية التي تحتاج إلى توضيح فقد يقصد بالرباط الاجتماعي الأناسة الاجتماعية (SOCIABILITE) المجتمعة (SOCIALITE)، أو العلاقات والروابط الاجتماعية (RAPPORTS SOCIALAUX).

والتوظيف الذي نريد استثماره في هذه الورقة والمعنى الذي نقصده من الروابط الاجتماعية هو مجموع العلاقات الاجتماعية سواء أعلق الأمر بالأناسة الاجتماعية أو كل الروابط الاجتماعية مجتمعة.

ومما شجعنا في عملنا هذا هي تلك الملاحظات التي قمنا ونقوم بها حول التحولات النوعية الكثيرة التي مست وتمس مختلف المجموعات التي تشكل النسيج الاجتماعي و المتمثلة في "الأنثى"، "الآخر" وال"نحن" والتي تبلور آليات التفاعل والتواصل وكذلك الاختلاف والصراع في أبعاده المتنوعة.

مفهوم التفكك الأسري: مفهوم متعدد المعاني POLYSEMIQUE

سنحاول مناقشة بعض التعاريف لمفهوم التفكك الأسري يجب الاعتراف في البداية على أنه مفهوم غامض ومتعدد المعاني، هذا ما أدى بالكثير إلى محاولة تصنيف المفهوم إلى تصنيف يتمثل في التفكك النفسي أين يرجح فيها العوامل النفسية أكثر من غيرها من العوامل بحيث يوعز فيها التفكك إلى حالات

الصراع المستمرة بين أفراد الأسرة، بسبب الإدمان على المخدرات والكحول وهناك من يرجح العوامل الاجتماعية ويجعلها سببا رئيسيا في حدود التفكك مثل الهجر أو الطلاق أو وفاة أحد الوالدين أو الغياب الطويل الأمد لأحدهما، وهناك من يصنف المفهوم بتصنيفات أخرى مثل التفكك القانوني الناتج عن انفصام الروابط الأسرية.. إلخ.

فكما يمكن ملاحظته في البداية هو أن تحديد مفهوم التفكك الأسري يرجعه البعض إلى عوامل نفسية، والبعض الآخر إلى عوامل اجتماعية ويذهب البعض إلى التركيز على العوامل القانونية.

هذا ما يؤدي بنا إلى الخلاصة بأنه لا يوجد هناك اتفاق بين الباحثين بصفة عامة، وبين علماء النفس الاجتماعي على الخصوص. حتى الاتفاق على التسمية للمفهوم ذاته تكاد تكون غائبة (هجر، طلاق، البيوت المحطمة، الشروخ الأسري، التصدع الأسري... إلخ).

هنا تكمن حسب رأينا نقطة الضعف، أي الاعتماد على عامل واحد فقط (نفسى، اجتماعي... إلخ) والإكتفاء به عند التحليل؟! هنا تكمن مساهمتنا بحيث نرى أنه من العقلاني إذا ما أردنا تحديد مفهوم التفكك الأسري ودراسته يجب الاعتماد على كل تلك العوامل مجتمعة، أي تفادي وتجنب النظرة الضيقة للأمور واعتماد بدلها نظرة كلية وشاملة بما أن الظواهر الاجتماعية هي ظواهر كلية.

كما أن هناك من يرى أنه بفقدان مؤسسة الأسرة وتخليها لبعض وظائفها وأدوارها وبناء على هذا المقياس يمكن الحديث عن مستويات أو أنواع من التفكك الأسري⁽²⁾، هنا كذلك لا نتفق مع الباحث المغربي في تحديده لمفهوم التفكك الأسري الذي يربطه بما مدى ارتباط الأسرة بكل وظائفها وأدوارها ونحن نعلم بأن عصرنا هذا أي بداية الألفية الثالثة، الكثير من الوظائف تخلت عنها الأسرة لفائدة ولصالح مؤسسات أخرى (المدرسة، المسجد، مختلف وسائل الإعلام وتكنولوجيات الاتصال الحديثة...) وهذا سواء بطريقة مقصودة واعية أو غير مقصودة.

وإذا ما أردنا تحديد وتعريف مفهوم التفكك الأسري لما يخدم ورقتنا هذه وأغراضها، نقول أن مفهوم التفكك الأسري هو تعبير لتلك الأنوميا -اختلال التوازن والمعايير- التي تعاني منها الأسرة بصفة خاصة وباقي المؤسسات الاجتماعية بصفة عامة، الأنوميا التي تترجم خاصة في تذبذب وفقدان الأسرة لبعض من قيمها ومعاييرها من خلال بالطبع الإختلال الذي يحدث فيما بين أفراد الأسرة أثناء التفاعلات التي تتم بداخل هذه الخلية، مما يؤدي إلى شروخ وانكسار مؤقت في الوحدة الأسرية، مما يؤثر بدوره على الأدوار الاجتماعية لأفراد الأسرة، جراء عدد من العوامل والأسباب من أهمها وأبرزها فشل الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية وعدم تأقلم جيل الآباء مع التغيرات والتحولات الاجتماعية السريعة والكثيرة، واتخاذ هذه العملية لإتجاه أفقي أكثر منه عمودي ضف إلى ذلك تحديات العولمة والإعلام.

- التفكك الأسري: مقارنة وشبكة قراءة جديدة

تعتبر ظاهرة التفكك الأسري مثلها مثل الظواهر الأخرى، ظاهرة غامضة ومتشابكة بحيث إلى أي مدى يمكن اعتبار هذه الظاهرة مرآة عاكسة للاختلالات الوظيفية DYSFONCTIONNEMENTS التي تحتويها الأنظمة والأنساق التنشئية التي تعمل على نقل الثقافة من جيل إلى جيل ومنه تكوين جيل جديد؟ إلى أي مدى يمكن اعتبار التفكك الأسري ظاهرة تمس بالنسيج الاجتماعي الكلي؟ أنا على دراية بأن الكثير من العاملين في هذا المجال سوف يتساءل عن الطرح الذي أنتهجه، وهذا ما نسعى إليه أي خلق نقاش حول موضوع مهم وخطير بطرق وأساليب منهجية مغايرة.

بعبارات أخرى نريد إحداث قطيعة إستراتيجية مع الطرق والأساليب التي عاينناها مع مختلف الباحثين في هذا المجال من علماء اجتماع وعلماء النفس الاجتماعي الذين اهتموا بهذا الموضوع بالإعتماد على فئات تحليلية جاهزة مأخوذة و مستقاة من نماذج مجتمعية وديناميكيات اجتماعية التي يرون أنها الأنسب. فمنهم من يرجع إلى نموذج (النسق الاجتماعي) أي أن المجتمع

العضوي والذي أكثر ما يهيم فيه هي ديناميكية التغيير، متجاهلين أو مهملين لتلك النزاعات والصراعات الطبقيّة والتاريخية، فهم يرون في مثل هذه الظواهر أنها نتاج فرعي (جزئي) لظواهر مرضية وعرضية تؤثر مباشرة على الأنساق والأنظمة التوصيلية والثقافية (التنشؤية). مثل هذه الإقتربات يقبناها بعض الموظفون سواء منهم من اعتمد في دراسته على تحليل الأنظمة السلوكية الثقافية مثل ألبرت كوهين A.K COHEN، أو ممن قام بدراسة نظام المعايير أمثال جمس كوليمان JAMES S . COLMAN، أو ممن ركزوا دراستهم على اتجاهات والطموحات أمثال كنيث كنستون K.KENISTON... إلخ. بالمقابل نجد من يؤكد على الصراعات والنزاعات التاريخية للطبقات في تحليله ويجعل منها جوهر الحياة الإجتماعية رافضين منطق التحليل الماركسي بالرغم من الرغبة الشديدة لديهم على إطفاء لون ومعنى ثوري على تلك الظواهر خاصة تلك التي يكون فيها أحد الفاعلين فئة الشباب، فلبساد J.LAPASSADE ومن بعده موران E.MORIN وكودراي G.C.COUDRAY، كلهم يرون في فئة الشباب ذلك الفاعل الطبقي الافتراضي VIRTUELLE، بالإضافة إلى كونه عنصرا محركا للجدلية (ديالكتيكية) التاريخية.

وخلافا لما استعرضناه من مقاربات إلى حد الآن، يمكن الإشارة إلى اقتراب ومنظور آخر مغاير تماما فيما يتعلق بدراسة موضوع الأسرة والتفكك الأسري، إنما نقترحه هنا من مسعى يتمثل في القيام بتحليل أولي للسياق أو الفضاء الإجتماعي الكلي أو الشامل الذي تحدث وتتم فيه هذه الظاهرة، السياق أو الواقع الذي سنعتبره كمتغير VARIABLE، وكفرضية انطلاق POSTULAT DE DEPART، نفترض وجود مجتمع تقليدي، تاريخي يسوده نزاع وصراع طبقات (فئات)، لكنه مجتمع هو في الوقت نفسه متمثل ومحتوي داخل مؤسسات ذات أهداف ومرامي اجتماعية التي من الممكن أن يحجبها منطق الأنساق الإجتماعية المنظمة (المرتبة) أي تتميز (بالتنظيم)، والتي تعمل على نقلها للجيل الجديد. وكفرضية مكملّة، يمكن التصريح بأن درجة الوضوح أو على العكس درجة

عدم الوضوح (التعقيم) لتلك الأنساق الاجتماعية التي يتشكل منها النسيج الاجتماعي الذي يتواجد فيه الأفراد يتنوع ويتغير حسب ومن وضعية اجتماعية إلى أخرى، كل هذا بالطبع حسب العلاقات الاجتماعية والطبقية المتاخمة (المتضمنة) لهذه الأنساق.

وعليه، فإن الأخذ بالدراسة والتحليل للظواهر الأسرية عامة، وظاهرة التفكك الأسري بصفة خاصة لا يمكنه أن يتم إلا بالتطرق المسبق لذلك السياق أو الفضاء الاجتماعي المبرز لهذه الظواهر وذلك بالاعتماد على المؤشرات والمتغيرات التي يتم اختيارها وانتقائها بدقة.

إن هذا الإقتراب مستوحى من بعض العناصر المستقاة من الجهاز المفاهيمي الموظف من طرف آلان توران عالم الاجتماع الفرنسي في دراسته لحوانث ماي 1968، بحيث يقوم بالتمييز في طبيعة الظاهرة تمييزا كليا بين ما يمكن اعتباره تذر MALAISE الشباب الطلابي وبين الحركة الطلابية ككل، بحيث يعرف توران الظاهرة الأولى- التذر- على أساس "أزمة" نجمت عن تراكم مجموعة من الاختلالات الوظيفية وذلك على مستوى النظام التنشوي، أما الظاهرة الثانية يحددها توارن على أساس "صراع أو نزاع" كمهد وكتصور لصراعات طبقية تاريخية جديدة وحديثة.

ولقد تمّ هذا التمييز على أساس تحليل كل من مفهوم سوسيولوجي لتلك التناقضات الاجتماعية والأخذ بالدراسة لنسق وشبكة العلاقات والروابط الاجتماعية المجسدة التي تربط الطلبة الفاعلين وشركائهم.

وينطلق هذا الإقتراب والتحليل "مستوى الفعل الاجتماعي" "التدخل

الاجتماعي" L'INTERVENTION SOCIOLOGIQUE- كما يسميه توران، ويرمي إلى محاولة تحديد نوعية ونسق العلاقات الاجتماعية وصولا إلى شرح وفهم لتلك الدلالات والمعاني التي تختفي وراء سلوكيات الفاعلين الاجتماعيين: بما معناه، أنه إذا تمّ وضع أو تواجد لأي نسق من العلاقات والروابط الاجتماعية في وسط مليئ بالتناقضات والصراعات، فإن هذا وبالتأكيد

سوف يؤدي إلى انعدام لأي منطق وظيفي للفعل الاجتماعي، أي وفي حالة موضوعنا (التفكك الأسري)، نرى أنه من غير الممكن الإلمام به وصولاً إلى التصريح بأن المجتمع الجزائري مثلاً تعاني الأسرة فيه من أزمة تفكك في حالة ما إذا لم نقم أولاً بتفكيك لخيوط الشبكة العلاقية الأسرية بكل تناقضاتها وتشابكها، بحيث وفي إطار دراسة⁽³⁾ قمنا بها حول الإستراتيجيات العلاقية الأسرية بالجزائر العاصمة أين كانت مؤسسة الأسرة فيه وحدة أساسية للتحليل ومن بين النتائج الأساسية التي توصلنا إليها هي أن شبكة العلاقات والروابط الاجتماعية فيه كانت تتأرجح بين "العلاقات المحلية/التقليدية" و"العلاقات المجتمعية الحديثة أو التعاقدية" على حد تعبير فرديناند تونيز⁽⁴⁾. واقع العلاقات هاته المتناقض، سوف يعمل لا محال على تسهيل "تدخلنا السوسيولوجي" في حالة ترصدنا بالدراسة إلى مسألة التفكك الأسري: بمعنى أن النتيجة المتوصل إليها بعد تشريح كلي (شامل) للوضع الاجتماعي بصفة عامة والوضع الأسري بصفة خاصة سوف يعمل هذا على تنويرنا بأن هناك قضايا تختفي وراء كل التفاعلات الأسرية والتي من الواجب توضيحها وهذا: تجنباً للوقوع في فخ التسرع والتصريح بأن تلك التناقضات التي تعيشها الأسرة الجزائرية بين محلية وتعاقدية تؤدي إلى خلق أزمة ومنه تفكك للأسرة. ومن بين القضايا غير الواضحة التي قد تؤدي بالباحث إلى تبني مثل هذا الرأي الخاطئ والتقرير بوجود أزمة وتفكك أسري هي تلك الاستراتيجيات التي يلجأ إليها الأفراد أثناء تفاعلاتهم من ذهاب وإياب بين القضائين المحلي والحديث. أي ذلك التمتع البيئي للأفراد، تموقع إرادي وفي نفس الوقت تموقع إجباري للأفراد على حدود النظامين (النمطين) التقليدي والحديث. ضف إلى هذا الوقوف الذي أردناه على التجارب الذاتية للأفراد (من خصوصية، تميز وتفرّد) كل هذا بغية المطابقة والتأطير (بالمعنى الجوفماني للمفهوم) لتلك التجارب، الوضعيات والحالات التي يتواجد بها الأفراد بحيث أردنا الوصول إلى وراء ما يسميه بورديو بجملة المبادئ الأساسية والمواقف الذهنية التي ينطلق منها الباحث وتميز هذا الأخير

من حيث كونه عالما (L'HABITUS SCIENTIFIQUE)، ولا يمكن أن يتأتى هذا المبتغى إلا إذا اعتمد الباحث مبدأ القطيعة الإيستمولوجية، هذا ما يحيلنا إلى النقطة التي انطلقنا منها، أي بذل جهد لإقامة قطيعة مع تلك الإقترايات التي وظفت إلى حد الآن عند معالجة موضوع التفكك الأسري، الشيء الذي يمكننا من بناء إشكاليات جديدة حول الموضوع والتي نحن بأشد الحاجة وبأمرس الحاجة إليها، كما أننا بحاجة إلى ابتكار تقنيات ومناهج جديدة بما فيها إعادة النظر في الجهاز المفاهيمي المعتمد، لأن هذه القطيعة لم تأت هكذا، بل فرضتها نوع المعارف الجديدة (NOUVELLES EPISTMES)، والتي عملت هي الأخرى على فرض شبكة معرفتية جديدة لقراءة مثل هذه المواضيع والظواهر في واقع اجتماعي كله ديناميكية: عالم كله تغير وتحول، ضف إلى هذا مسألة تعاقب وديناميات الأجيال التي تشهدها مجتمعاتنا العربية، مسائل التغير، التباين والتحدي الثقافي، قضايا وعوامل يجب أخذها في الحسبان إذا ما أردنا دراسة موضوع التفكك الأسري وإعطائه حقه. وفي هذا الإطار يقول هشام شرابي، بضرورة المضي في عملية الانفصال والإمتدادية بين الحاضر والماضي فيشير إلى أن الحادثة وما تشمله من تغيرات وتحمله من تحولات "في جوهرها عملية انتقالية تشمل على التحول من نمط معرفي إلى نمط معرفي آخر، يختلف عنه جذريا، وهي انقطاع عن الطرق التقليدية لفهم الواقع وإحلال أنماط فكرية جديدة"⁽⁵⁾.

وتماشيا مع مقترحنا الذي يقضي بضرورة الإنطلاق من التحليل الكلي أي بوجوب الحصول على نظرة شاملة وذلك بدراسة كل الحقول المؤسساتية التي تعمل مباشرة على نقل الثقافة بمفهومها الواسع من جيل إلى جيل (كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية من الأسرة، المدرسة، الجامعة) إلى غاية الشبكات العلائقية والاتصالية .. أي كل المؤسسات التي تسهر على نقل النماذج الثقافية وتعمل على تحضير الأفراد لإحتلال المكانات والقيام بأدوار اجتماعية. ويمكن اعتبار والإعتراف بأن كل هذه المؤسسات وأخرى مثل فضاءات التدريب والتكوين

وشبكة الاتصالات والإستهلاك، قد تشكل أنظمة وأنساق اجتماعية منظمة تحوز على منطق تسير وفقه، يركّز على الفعاليّة كما يعكف على التكيف مع كل المستجدات والتغيرات التقنية، الإجتماعية والثقافية التي يفرضها الواقع والبيئة: بالتحديد، يمكن اعتبار ذلك الكل من المؤسسات التنشئية على أنها مجموع الروابط والعلاقات التي تشكل علاقات قوية وسلطة مجسدة في أنساق سلطة ونسق من الجزاء والعقاب والمكافآت التي تحاول المحافظة على التوازن الذي قد يفقد أو يختلّ من حين إلى آخر، وبالتالي تحاول هذه المؤسسات عن طريق الفاعلين الاجتماعيين فيها على إعادة هذا التوازن استجابة لتلك التغيرات التي يفرضها الواقع الاجتماعي، كل هذا بالطبع حفاظا على الأهداف التي تكون قد سطرته مسبقا لنفسها كل تلك المؤسسات. وقد تكون الإشكالية في أن الكثير من الظواهر والمؤشرات تبقى خفية وعصية عن الإدراك لعدم ظهورها في وقت مبكر للتنبيه لبواردها، فقد ننظر للأمور ونفهم أنها ساكنة و"عادية". ومن بين الحالات التي كثيرا ما تصادفنا في الواقع نجد بأن الكثير من المؤسسات التنشئية التي تم ذكرها سابقا قد تخللتها واخترقتها حركات تاريخية تشير وتخطب الفئة الاجتماعية المسيطرة التي سطرت أو عملت على تسطير الأهداف الاجتماعية المتمثلة في القيم والنماذج المرغوب والواجب نقلها وإيصالها. وفيما يخص الموضوع الذي يهمننا التفكك الأسري، هل كل ما هو مرغوب فيه من طرف الجماعة المسيطرة (الأولياء مثلا)، هو بالفعل مرغوب فيه من طرف التركيبات الاجتماعية الأخرى للنسيج الاجتماعي، بعبارات أخرى ألا يمكن أن يتحول ما هو مرغوب فيه إلى نموذج مفروض على الباقي، داخل الأسرة مثلا مما قد يوحي بوجود أزمة ومنه تفكك أعضاء هذه الأسرة؟ هذا تسرع في النتيجة حسب رأينا لأنه لو أخذت بعين الاعتبار الذاتية والخصوصيات LES SINGULARITES وكل التغيرات الاجتماعية والثقافية التي ما فتئت تمس الفئات الاجتماعية ككل الفئات الشبانية على الخصوص وذلك بفعل العولمة، لتغيرت النتيجة فعوض الحديث عن التفكك الأسري، يصبح

الحديث عن صراع أجيال وتباين الرؤى ومنه عن حرب مواقع وسيطرة بكلمات أخرى، ألا يمكن اعتبار عملية الفرض هذه، مجرد عملية الحفاظ والسيطرة على مراكز القوة، أي مجرد صراع على مواقع بين أجيال الآباء (المؤطرين) وجيل الأبناء (المؤطرين)؟ وفي هذا الإطار يمكننا تجنيد مفهوم التثاقف ACCULTURATION بهدف الترصّد الأحسن لكل تلك التغيرات التي تحدث على مستوى العلاقات والممارسات الإجتماعية.

إن ما نريد إيصاله من خلال مقترحنا هذا هو أنه في إطار الجدلية التي تربط وتجمع الموضوعية بالذاتية، الخارجي والداخلي، ولضمان التواصل بين القطبين (CONTINUUM) المتمثل في الفرد والمجتمع باعتبارهما كيانات إيستمولوجية لفهم الواقع الإجتماعي، ولتجاوز كل هذه البدائل، لابد من إعادة تسوية وإعادة تعديل منهجي فيما يخص دراسة موضوع التفكك الأسري، كل هذا ضمّانا لتأصيل وتقويم (ARTICULATION) ما هو فردي بما هو جماعي. ونقترح في هذا المجال حلاً توفيقياً يتمثل في مفهوم الطباعية أو العادة المكتسبة HABITUS لبورديو، لأنه يمكن أن يمثل ذلك الواصل الذي يربط بين الإتجاهين والكيانين، كما جاء ذلك عند بورديو (6).

وتبعاً لما جاء معنا فالمسألة التي نريد إثارتها تتمثل في التفكير في الشكل الجديد للرباط والعلاقات الاجتماعية الذي لم يتحدد ولم ترسم حدوده بعد، بحيث وكما نتصوره فإن هذا النمط الجديد من الروابط يتموقع على حدود تقاطع فيه الامتدادية والقطعية بالنسبة للموروث الاجتماعي. هذا ما يمكن ملاحظته في المجتمعات العربية عامة بحكم أن التغير الذي يعرفه شكل الروابط، ومنه شكل المسعى والتفسير الواجب أن تأخذه دراساتنا أي تفكير يأخذ منحى وإتجاهاً من التنظيم المحلي (التقليدي) إلى التنظيم والشكل التعاقدية (الحديث). فالمبدأ الابستمولوجي الذي نرتكز عليه في تحليلنا لموضوع التفكك الأسري يرتكز على مبدأ الرفض المضاعف أو المزدوج: من جهة مبدأ يرفض التفسير على أساس الكل الجماعي، أي رفض للتفسير الذي يعبر عن الكل الجماعي والتجدر في

الجماعة المرجعية (ما يتبعها من تصورات وسلوكات) ومن جهة أخرى مبدأ يرفض هو الآخر ذلك التفسير الكلي على أساس مجتمعي-تعاقدى بحث-. ومن هذا المنطلق الإستمولوجي لمبدأ الرفض المضاعف، يأتي مقترحنا الذي يحدد تفسير الظواهر الأسرية بما فيه ظاهرة التفكك الأسري في ملتقى تقاطع النمطين المحلي والتعاقدى، بين الخصوصي والعالمي، أو لما يطلق عليه أنطوني جيندس "الطريق الثالث"^(*) أين يقترح التفسير على أساس عاملي المجال والزمان التي تقرض مقارنة معقدة ومتشابكة بين المخلفات المحلية أو الظروف وسياق الفعل والتفاعل عن بعد لعلاقات أكثر شمولية بين الحضور والغياب، بحيث يعتبر جيندس بأن كل تحول يحدث على مستوى محلي، فهو جزء لا يتجزأ من تلك العولمة التي هي بالفعل عملية معقدة تتأسس وتنظم على إثرها وعلى أساسها الشبكات العلائقية للأسرة⁽⁷⁾. فالواقع الاجتماعي هو واقع كله ديناميكية وحركة ولمواكبته بالتحليل والدراسة يجب اعتماد شبكة معرفية جديدة لقراءة واقع اجتماعي جديد ومتجدد.

فالتفكير حول ظاهرة التفكك الأسري يأخذ معنى الصراع كذلك لأن من جملة ما تعمل المؤسسات التنشئية على نقله من قيم ونماذج اجتماعية تصبح هي نفسها أي هذه النماذج التي تتخللها تناقضات قلت تصبح ميدانيا لصراعات بين مختلف الفئات الاجتماعية: فئة جيل الآباء المشرفون على العملية التنشئية وجيل الشباب الذي تقع عليه العملية. من هنا فإن ما نقترحه من نقاط توحيد وربط هي تلك الوصفة التي يطغى فيها منطق المعالجة التي تُغلب منطق السيطرة والهيمنة (على المواقع حتى و لو كانت رمزية) عبر ما ينقل للأجيال عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، أكثر من المنطق الوظيفي - التنظيمي: بمعنى عند توفر لأسباب معينة يحدث التفكك الأسري.

- التفكك الأسري، التغيير الاجتماعي: بين المحلية والتعاقدية:

نرى أن أطروحات ف. توينز الذي ذكرناه سابقا كفيلة بأن تساعدنا في التأطير النظري لمقترحنا ومنه لدراسة موضوع التفكك الأسري. نحن نعلم كم

هو كبير التأثير الغربي-الرأسمالي على المجتمعات العربية- الإسلامية، لكن هل يسمح لنا هذا بالقول بأن هذا التأثير أدى إلى كسر وتفكيك لكل الأنساق والأنماط التقليدية لهذه المجتمعات؟ إنه من الصعب الإجابة بنعم، لكن عوض الحديث عن "التفكك" نفضل استعمال مفهوم "الارتخاء" RELACHEMENT (*) لنقول إننا نحضر إلى ضعف وارتخاء في أنظمة السيطرة أو السلطة الوالدية عبر قنوات تنشئية أفقية التي بدأت تظهر و تفرض نفسها.

فالارتخاء المتحدث عنه فوق ،جاء كنتيجة طبيعية للهشاشة التي أصابت مؤسسات التنشئة الاجتماعية خاصة الأسرة منها، هنا تأتي أطروحات تونيز هل حقيقة المرور من النظام المحلي (الأولي) إلى النظام التعاقدي (الثانوي) تَمَّ حقيقة استكماله واستهلاكه، أم لا زلت مجتمعاتنا تتأرجح بين النظامين؟ وبين مايسميه تونيز بالإرادة العضوية VOLONTÉ ORGANIQUE والإرادة العاقلة أو الحاكمة VOLONTÉ REFLECHIE ؟ بحيث أن النوع الأول من الإرادة هو إنتاج للعفوية والتلقائية والعادة، أما النوع الثاني يقول تونيز فهو نتيجة للعقلانية وفي بعض الأحيان الإسراف والتجاوز فمن الإرادة العضوية يولد المجتمع المحلي الأولي، ومن الإرادة العاقلة يولد المجتمع التعاقدي / الحديث. (8)

إن هذا التذكير المختصر لأطروحات تونيز لا شيء إلا للقول بأن المرور والعبور من المجتمع المحلي إلى المجتمع التعاقدي الحديث هي عملية لم تكتمل بعد INACHEVÉ.

فتقلص السلطة الوالدية وتأثر العلاقات الأسرية بها من جراء الارتخاء المحلي الذي أصاب التفاعلات ومنه الروابط الأسرية لا يخول لنا ولا يمكن أن يوحي هذا بأن الأسرة تعاني من تفكك وتصدع فما يلاحظ بالرغم من عدم وضوحه هي تلك العملية التي يحاول من خلالها جيل المحدثون (الشباب) أن يقوم بإعادة التوازن والعمل على التكيف مع كل ما هو جديد وهذا بالطبع كنتيجة

(*)-Guiddens (A), The Third way. Londons, 1998

للتغيير الاجتماعي ومنه التغيير الثقافي الذي يحدث، أكثر مما هو عملية إزالة الشرعية للسلطة الوالدية، فعملية إعادة التوازن بغرض التكيف مع المستجدات أثناء التفاعلات الأسرية، إنما هي عملية يقوم بها جيل الشباب عن طريق مزج لكل من الإرادة العضوية والإرادة العاقلة كما جاءت معنا فوق وكما يصورها لنا تونيز.

لكن ما يمكن الإشارة إليه هو أن عملية إعادة التوازن بهدف التكيف (أي عملية المزج للإرانتين) هذه كثيرا ما توحى بالتناقضات مما يؤدي بالكثير من الباحثين ممن يعمل في حقل الأسرة إلى استخلاص نتائج قد لا تكون بالضرورة صحيحة ولا محصنة بحيث يبنون خطابات ويقرّون بتصدّع وتفكك الأسرة ويسارعون إلى البحث عن حلول لها، إن ما لا يظهر للعيان هو كون أفراد الأسرة فاعلين اجتماعيين (الجيلين) لديهم مواقف خاصة ومتميزة، وأن ما يعرض من نماذج ثقافية وتنشئية، خاصة ما يعرض منها لجيل الشاب قد يدخل في صراع مع النماذج الموروثة وتلك المقترحة عبر وسائل الاتصال الجديدة والعالم المعولم: عولمة النماذج الثقافية، الاجتماعية والاقتصادية.

ولقد تميّزت نهاية القرن الأخير بثورتين هامتين شملتا مجال الهندسة الوراثية، والثورة المعلوماتية وتكمن الأهمية في حدود هاتين الثورتين، حيث تلغي الحدود والمجالات الضيقة والفضاءات المغلقة أمامها بجكم طبيعة كل ثورة وأبعاد كل واحدة، لهذا تتغير وتتحوّل كل المعايير التي لها علاقة بالهوية والانتماء والأخلاق والقيم والفعل، ومثل هذه الأبعاد الجديدة ستعيد بلورة مجالات وامتدادات ومرجعيات السلوك وكذلك معالم الإدراك والتصورات على المستوى الفردي والجماعي، ومن ثمة المفاهيم التي تتشكل باعتبارها حاوية لكل ذلك. ولقد مكنت سرعة المعلومة المدعمة بالصوت والصورة إلى انتقال العديد من نماذج السلوك من مجتمع إلى آخر، والانتقال ليس له بعد أو توجه واحد كما يعتقد، بل هو متعدد الأبعاد والاتجاهات أي من مختلف المجموعات. وعليه فإن التحولات المشار إليها يمكن أن يكون منشأها غير محلي، لكن ذلك لا ينقص لا

من قيمتها ولا من فعاليتها. نحن إذا أمام عملية تحول وتغير دائم للسلوكيات، وذلك في إطار النماذج المقترحة من طرف البيئة والوسط الذي يتواجد فيه الفرد. فعملية التنشئة الاجتماعية تظهر في آخر المطاف كنشاط وعملية معقدة وغير منقطعة للتثاقف فالتنافس إذا هو سيد الموقف داخل الأسرة، تنافس حول مواقع ومواقف رمزية بين التركيبات البشرية للأسرة، تنافس من أجل فرض نموذج ثقافي- اجتماعي مغاير. هذا التنافس الذي قد لا يأخذ معنى الصراع إلى حد الوصول إلى التفكك. فجبل الشباب كما أثبتته دراسة قمنا بها سنة 2006، أصبح يقوم بالإشراف على نفسه فيما يتعلق بعملية التنشئة الاجتماعية عن طريق شبكات متعددة ومتنوعة من الوسائل الاتصالية الحديثة، فالعملية التنشئية بالإضافة إلى كونها عمودية أصبحت عملية أفقية كذلك ومنه أصبحت عملية التنشئة الاجتماعية بالإضافة إلى كونها عملية تلقين، فهي كذلك عملية اكتساب.

فالتوقعات داخل الأسرة أصبحت هي الأخرى تتخذ شكل التوقع الإرادي و/أو شكل التوقع الإجباري على حدود النظاميين التقليدي/ المحلي و/أو التعاقد الحديث وذلك بفعل طباعية مكتسبة محلية HABITUS COMMUNAUTAIRE، وطباعية مكتسبة تعاقدية HABITUS SOCIETAIRE⁽⁹⁾.

* اقتراب المنهجي المقترح:

للتلخيص، من المستحسن أن نذكر ونحاول تحديد المنهج والمسعى المتواضع الذي حاولنا شرحه فوق، نقول أنه من الرغم من ثراء الإقتراب لما يتيح من الفرص ومن هامش للمناورة البحثية، وخاصة ما يسمح به قدرة المراقبة والأخذ بالدراسة لمختلف الجوانب المتنوعة التي هي من خصائص الموضوع السوسيولوجي، إلى أنه أي المسعى قد لا يتيح فرصا ومنه لا يبسر لنا القيام بتطبيقه على المستوى الإمبريقي تطبيقا جيدا في حالة ما إذا لم يصاحبه منهجا يسمح بانتقاء مؤشرات ودلائل مضبوطة ومحددة هذا إذا ما أردنا أن نجعل منه ذلك الإطار النظري المثالي لدراسة الشؤون الأسرية.

إنها هذه هي الطريقة التي نريد عرضها و شرحها، علما بأنها قد لا تخلو من النقائص، ولا من الإنتقادات التي من الممكن أن تتبعها.

وللإستجابة إلى حد أدنى من الشروط العلمية المطلوبة، نرى أنه من الواجب أن تقوم هذه المنهجية على أساس نفس المبادئ التي انطلقنا منها، ونفس المبادئ التي سمحت لبناء الإطار النظري التحليلي العام الذي تم شرحه فوق. فبنفس الطريقة التي عملنا على البحث فيها عن المعنى النظري الذي من الممكن أن تأخذه ظاهرة التفكك الأسري مثلا وذلك بالعمل على الترصّد بالبحث والعمل على ملاحظة هذه الظاهرة في سياقها الكلي الشامل. لكن في نفس الوقت كذلك يجب أن نقادى التعمق في البحث في الحالة والوضعية المؤسسية لمختلف الأنظمة التنشئية كما يصورها ويتصورها جيل الشباب مثلا أو جيل الأولياء، بحيث يمكن أن يؤدي هذا إلى الوقوع في خانة الذاتية المفرطة مما يؤدي إلى تشويه وتحريف للحقائق لكن وبالرغم من هذا، فعملية البحث والبناء للمؤشرات والدلائل أثناء البحث، يجب أن تأخذ في الحسبان التجارب الذاتية والفردية للأشخاص بالإضافة طبعا للمؤشرات الموضوعية، لأن مجموعة تجارب الذاتية والمتميزة للأفراد تشكل وتعبّر عن ما هو موضوعي في الظاهرة. إن المؤشرات التي يجب بناؤها هي في حقيقة الأمر بمثابة من سيكشف عن مستوى سير الكل والنسيج الإجتماعي الكلي والشامل الحاوي لتلك الظواهر الإجتماعية مثل ظاهرة التفكك الأسري. لذا نرى بأن العمل على مزج ثلاثة أنواع من المعطيات والعمل بها عملية تفرض نفسها :

1- النوع الأول من المؤشرات يتم الحصول عليها على مستوى تحليل شامل أو ماكرو (تحليل كلي) أي نحاول أن نحدد ونتعرف على الفئة التي ينتمي إليها الأفراد أي نحاول أن نقوم بعملية إدراك لهذه الفئة التي نرى بأنها تعاني من الظاهرة "التفكك"، وبالتوازي نحاول أن ندرك كذلك ما مدى المركزية أو الهامشية التي يتمتع بها هؤلاء بالنسبة وبالنظر إلى مختلف الأنساق

الاجتماعية. ولا يمكن أن يتأتى هذا إلا بتطوير وإقامة الأسس الأولى لبناء ميكروسوسيولوجيا الأسرة.

2- أما النوع الثاني من المؤشرات ممكن أن يظهر على أنه الأكثر نجاعة بحيث نحاول من خلاله أن نترصد بالتحليل والدراسة لتلك العلاقات النوعية التي تتميز بها الروابط الاجتماعية بين مكونات النسيج الأسري (خاصة جيل الشباب وجيل الأولياء)، وذلك في إطار كل تلك المؤسسات والشبكات العلائقية التي ينشطون في إطارها، ومحاولة الرصد لدرجة التوغل والتعمق من عدمها لهؤلاء داخل تلك المؤسسات التنشئية (الأسرة، المدرسة مختلف الشبكات الإتصالية والإستهلاكية...)، هذا ما سيسمح لنا بقياس درجة "الأزمة" أو الخلل والإرتقاء التي آلت إليه مؤسسة الأسرة مثل درجة التصلب في المواقف والعلاقات، أو على العكس قياس لعلاقات اللاتوازن الوظيفي والأعراض التي قد تميز مختلف الأنساق الاجتماعية، خاصة الأسرة منها التي تمر بمرحلة انتقالية على غرار كل الأنساق الأخرى، مما يؤدي إلى علاقات تصبغها الصراعات والنزاعات، ومحاولة بناء استراتيجيات يكون كل طرف فيها قد سطر أهدافا له يريد من خلالها احتلال مراكز القوى، و/أو يريد الوصول إلى تفاهم واتفاق عن طريق التفاوض الذي يؤدي إلى حد أدنى من التوافق.

3- أما النوع الثالث والأخير من المؤشرات، يستوجب البحث عنها والوصول إليها عن طريق محاولة إدراك وملاحظة السلوكات والنوايا، بالإضافة إلى الإتجاهات المعلنة للفاعلين الاجتماعيين مهما كان سنهم، تجاه تلك المؤسسات التنشئية التي تعمل على نقل النماذج الثقافية.

- الخلاصة و النظرة إلى المستقبل:

إن الورقة التي نتقدم بها هنا، ما هي إلا عبارة عن خواطر وأفكار أردت أن أطرحها لعل فيها ما يفيد أو يثير نقاشا هادفا ببناء، وأنا على ثقة بأننا سنخرج من هذا النقاش بفوائد وخدمات علمية تعود بالفائدة على العالم العربي وتشارك في النهضة والتنمية الشاملة.

إنما عملنا على طرحه من خلال مداخلتنا هو جزء بسيط من اقتراب منهجي علمي وعرض لشبكة قراءة جديدة لموضوع الأسرة وظاهرة التفكك الأسري بصفة خاصة. كل هذا في ميدان كثير ما يزعج الواقع الاجتماعي اليومي، بحيث إذا ما أردنا تخطي ما هو موجود من النماذج و الإقتربات، سوف يثير زوبعة من الشكوك، كل هذا بدوافع وإنتماءات إيديولوجية أكثر منها علمية. لكن إذا ما أردنا أن نضفي القليل من الصرامة العلمية على أبحاثنا وعلى الإقترب المقترح، يجب توخي الحذر عند انتقاء المؤشرات والدلائل، وتفادي كل تحليل وتأويل عشوائي، خاصة ما يتم على مستوى التحليل الماكرو سكوبي أو الشامل إذا ما لم نتمحصر في الحوادث بصفة جيدة وجدية. ولقد قمنا بتوظيف لشبكة من المفاهيم نتمنى أن تعمم، تجسد و تجرب بصفة أكثر إجرائية.

ولقد عملنا في اقتراحنا إلى اللجوء إلى حل توفيقي لما يقترحه توازن وبورديو وأدخلنا بعض التعديلات مما يتكيف والواقع الاجتماعي العربي، وهذا بالطبع يبقى مجرد نموذج يقترح ينبغي التوسع فيه وإثرائه. نشير فقط في الأخير أنه من خلال الإقترب الذي قدمناه، نحاول أن نساهم في وضع الأسس الأولى للتמיד والعمل على التأسيس لميلاد سوسيولوجية السلوكات والعلاقات الاجتماعية ومنه شق الطريق أمام ظهور سوسيولوجيا الشبكات الاجتماعية بالجزائر وبالعالم العربي ككل.



wondershare™

PDF Editor

قائمة المراجع والمصادر:

- (1)- De singly (F), les uns avec les autres, quand l'individualisme crée du bien. Paris, A. Collin, 2003, pp. 72-73
- (2)- عبد المجيد بن مسعود، التفكك الأسري؛ الأسباب والعواقب والحلول. كتاب الأمة، العدد 85، (رمضان 1422، السنة 21 "التفكك الأسري دعوة للمراجعة" ص 76.
- (3)- حمدوش رشيد، الإستراتيجيات العلاقية، الرباط الإجتماعي، وإشكالية التقاليدو الحداثة من خلال التصورات الشبانية. أطروحة دكتوراة دولة في علم الإجتماع الثقافي. جامعة الجزائر 2007.
- (4)- Tönnies (F), **Communauté et société**. Paris; traduction Française 1970, 1^{ère} édit. 1887
- (5)- شرابي هشام، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي. السويد، ط4، 2000، ص39.
- (6)- Bourdieu(P), **Méditation Pascaliennes**. Paris, Seuil, 1997, P201.
- (7)- Ibid, Guiddens P : 70.
- (8)- Tönnies (F), Ibid, P : 82.
- (9)- مرجع سابق، حمدوش رشيد، ص ص 324-347.



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor